

مقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

أما بعد:_____

فقد كنت إذا سمعت عن كتاب يتحدث عن الحياة الزوجية أتهافت إليه ، وأسعى لاقتنائه ثم محاولة الاستفادة منه في حياتي .. وقد طالعت - بتوفيق الله - الكثير مما كُتب في هذا المجال ، سواء ما كان من الكتب العربية أو غيرها .. ولكنني وجدت أكثر هذه الكتب أحادية الطرح ، و تتحدث عن العلاقة الزوجية من حيث الواجبات والحقوق !!؟ .. و قلّ فيها تلك الكتب التي تُعنى بـ " فن " التعامل بين الزوجين " و " مهارات " الحياة الزوجية .. هذه المهارات التي من شأنها أن تجعل تكاليف " الحقوق " ، أمنيات .. و مشقات " الواجبات " ، أعطيات .. و تحولّ مشكلات الحياة الزوجية إلى " تحديات " .. ؟!

كما أنني رأيت باستقراء الواقع ، أن الكثير من الأزواج يرتبطون بالحب ، .. و يظنون أن هذا الحب يمكن أن يبقى إلى الأبد .. و يعتقدون أنهم مستثنون من المشاكل التي واجهها آباؤنا وأمهاتنا .. ومن ثم يعيشون مطمئنين إلى بقائه ، بل يعتقدون أنه ولد ليبقى ، وأنه سيكون سبب سعادتهم إلى الأبد !! .. ولا يوجد لديهم أدنى احتمال بأن الحب بينهم قد يموت !!

ثم إنهم يُفاجأون بأن سحر الحب يتقهقر ، لتكون الغلبة للحياة اليومية ، فتتسلل إلى حياتهم المشكلات ، و يتعطل بينهم التواصل ، و يبدأ كل طرف في الشعور بعدم الثقة في الآخر ، وهو ما ينتج الجفاء .. ومن ثم يضع سحر الحب .. و تبقى البيوت قائمة على تحمل أخف الضررين بدفع أكبرهما .. تحمل الحياة في غياب الحب والمودة والرحمة ، لدفع شبح الطلاق والانفصال !!

إن الكثيرين منا يتزوجون ، و لديهم الرغبة في أن يكون بينهم وبين أزواجهم حباً باقياً .. وهذا أمر طيب .. ولكنه يحتاج إلى تعلّم لفن التعامل بين الزوجين ، و تدريب على هذا الفن .. ذلك أنه بلا تدريب يصبح الأمر أشبه بمحاولة قيادة طائرة دون أى تدريب ، فقد يستطيع الإنسان الإقلاع بالطائرة ، ولكن من المؤكد أنه سيتحطم ، ولن تستمر طائرته في الطيران ...

إن هناك حلقة مفقودة في حياتنا الزوجية ، هي أننا ندخل هذه الحياة ، دون أن يعرف الزوج كيف سيتعامل مع زوجته ؟ ولا هي تعرف كيف تتعامل مع زوجها ؟ ومن ثم تُصبح الحياة سلسلة من التجارب التي قليلاً ما تصيب ، والأكثر أن تخطيء !!!

ولسد هذه الثغرة ، فقد رحت أبحث عن كتاب عملي في فن التعامل مع شريك الحياة ، وأسس هذا الفن وقواعده؟! .. و قرأت كل ما صادفني من الكتب التي تمس - من قريب أو من بعيد - علاقة الزوجين .. ولكن ، دون أن أجد ما أريد !!

ومن هنا بدأتُ محاولة لسد هذا النقص ، ووضع كتاب في هذا الفن .. فكان هذا الكتاب " حتى يبقى الحب " .. رسالة حب إلى قلوب محبة ، و همسات دافئة ، ولمسات حانية ، لكل زوجين تسلك إليهم الفتور ، فأورث النفور .. وامتد بهم عمر الزوجية ، فشاحت أيامهم ، وانطوت ذكرياتهم ، وتبددت أحلامهم ، فعاشوا على ذكريات " كان " ، وسالف العصر والأوان !!

وقد حاولت فيه أن أرسم معالم الحياة الطيبة ، والتي هي السبيل إلى أن يكرر الزوجان في حب ؟! حاولت أن أرسم تلك المعالم من خلال :

رؤية نفسية : تقوم على الاستفادة من علم النفس ، وعلم الاجتماع في رصد واقع بيوتنا ، وعلاقتنا الزوجية . وقاعدة شرعية : تقوم على النصوص التي جاءت في الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة ، والتي حددت الصورة الأفضل لعلاقة المودة والرحمة بين الزوجين .

و نصيحة إسلامية : تقوم على تصحيح وجهات نظر الزوجين ، وتعريفهم بالمنهج الصحيح في الحياة الزوجية ، من خلال " علم " و " فن " و أفكار قابلة للتطبيق بمنتهى السهولة في الواقع العملي ..^(١)

ولأننا لكي نفهم ما يتعلق بالمرأة والرجل ، لا بد أن نفهم ما يتعلق بالإنسان .. فقد كانت بداية البحث :

الباب الأول : في أعماق إنسان ..

حاولت فيه مساعدة كل من الزوجين في التعرف على شريك حياته من خلال :

الفصل الأول : " الاختلاف الرائع "

ليدرك كلا الزوجين أن الاختلافات بينه وبين شريك حياته ، هي اختلافات واقعية ومتوقعة ..

ولأن التفاهم هو أرضية الحب ، وحب بلا أرضية قابل للسقوط ، فقد كان ..

الفصل الثاني : " الفهم والتفاهم " ..

حيث يفهم كلا الزوجين شريك حياته ، فيصيرهم هذا الفهم متفاهمين متآلفين متحابين ..

ولأنه ما من رجل أو امرأة إلا جعل الله سعادته مع شخص ما بقدر محبته له في الله فقد كان :

الباب الثاني : فن امتلاك القلوب

حيث حاولت فيه تعريف الزوجين بأفضل الوسائل التي تقرب بينهما من خلال :

(١) كلمة علم : تختص بما يدل عليه لفظ : يتعلم to knew
كلمة فن : تختص بما يدل عليه لفظ : يعمل to do أى الكيفية والأسلوب .

الفصل الأول : " التواصل والألفة "

وتعريف كل منهما بالطريق إلى قلب الآخر من خلال :

الفصل الثاني : كيف تملكين قلبه ؟

الفصل الثالث : كيف تملك قلبها ؟

وفي محاولة لإعادة التوازن الذي أدخل به واقعنا الخالي من المشاعر ، جاء ..

الباب الثالث : إحياء الانسجام الزوجي ..

حاولت فيه إرسال رسالة حب لكل المحبين من خلال :

الفصل الأول : الحب ماء الحياة .

و تشجيع المرأة والرجل على الاقتراب من أحاسيسهما في :

الفصل الثاني : إعادة الدفء العاطفي ..

والتقاء أرواحهما وأجسادهما في إطار من عناق المحبين في :

الفصل الثالث : حميمية اللقاء الزوجي .

فإذا واجه الزوجان المشكلات ، فإنهما يواجهان معاً :

الباب الرابع : تحديات لا مشكلات

فلا يمنع تواصلهما شيء ، ولو كان ..

الفصل الأول : الستار الحريري

ويحرصون على المودة والرحمة بينهما بممارسة ..

الفصل الثاني : فن احتواء الأزمات

ولأن هناك الكثير من الكتب التي توحى للقاريء بأنها تحمل بين صفحتها الطريق إلى السعادة الزوجية ، فقد كان

..

الباب الخامس : حتى لا يجف النهر

والذي أكدت من خلاله أن ..

الفصل الأول : طريق الحياة الطيبة

لا بد فيه من رحلة تغيير إيجابي تقطعها داخل أنفسنا ، بتغيير ما بهذه الأنفس من عقبات تحول دون وصولنا إلى

السعادة .. ومن ثم تكون حياتنا معاً هي :

الفصل الثاني : حياة المشاركة الزوجية

تلك الحياة الطيبة التي تكون لغة العلاقة بين الزوجين فيها وفق ..

الفصل الثالث: أجمدية المودة والرحمة

هذه المودة والرحمة التي جعلها الله بين الأزواج .. حتى يبقى الحب .

وهكذا ، ينتقل الكتاب بنا من فهم أعماق الإنسان ، واقفاً عند أساليب امتلاك القلوب ، وإحياء الانسجام الزوجي ، مبيّناً الطريق إلى احتواء المشكلات الزوجية ، و اعتبارها تحديات لا مشكلات ، ومن ثم البدء في " طريق الحياة الطيبة " من خلال "حياة المشاركة الزوجية " التي يبقى من خلالها الحب بين الزوجين وفق " أبجدية المودة والرحمة " ...

ولقد حاولت في كل باب أن أقدم بين يديه فكرته العامة ، فلا يغرينك هذا - أخي القارئ - بالانتقال إلى الباب الذي يليه ، .. وإنما حاول أن تقرأ قراءة متأنية متعمقة لتحصل على أفضل النتائج .. كما حاولت أيضاً أن أبتعد عن التعقيد ، إلى الحديث الميسور الفهم ، السهل الاستيعاب ، فأوردت في كل باب من أبواب الكتاب بعض الحكايات والأمثلة الواقعية من بيتي أو بيوت أحبتي وأصدقائي .. وأنا لا أدعوك - قارئ العزيز - إلى مشاركتي هذه الأمثلة والتجارب إلا لأنني أعتقد أنها ليست أمثلة خاصة وفريدة من نوعها .. وإنما هي في الحقيقة حكايات وراء أبواب كل بيت .. نقرأها جميعاً في صفحة الحياة التي تحمل لنا المعاني التي ترشدنا ، وتضيء لنا الطريق ، بما تؤكد من حقائق نُطل عليها من خلال نوافذ الكتب !!..

أخوتي الزوج / أخوتي لزوج ..

لقد حاولت كتابة أفكار هذا الكتاب من خلال حياتي التي أحيها ، وتجاربي التي أعيشها حتى تكون كلماتي مملوءة بماء التجارب .. لعلمي بأنه من لم يشرب من ماء التجربة ، فإنه يموت عطشاً في صحراء الجهل !! وليقيني أن الكتابة عن السعادة الزوجية ليست هي السبيل إليها .. وإنما الكتابة من خلال السعادة الزوجية هي التي ترسم خطواتها للآخرين ..

وعلى الرغم من أنني لست خبيراً في العلاقات الإنسانية ، فإنني أرى أن عمراً يناهز الثلاثة والعشرين عاماً من الزواج قد تعنى الكثير حين تكون عامرة - في أغلب الأحوال ^(١) - بالحب والعطف والاحترام المتبادل .. ولا شك أن ما طرحته من أساليب للتعامل لا تصلح للتطبيق على كافة شركاء الحياة .. ولكني أرى أنها تنطبق على أكثر من تسعين في المائة منهم ، وهي نسبة - كما ترى - موهلة في الارتفاع !!..

فذكراً - أخوتي الزوج / أخوتي الزوجة - وأنتم تقرأ أنكم لا تجمعان معلومات فحسب ، بل تسعيان إلى تكوين عادات جديدة ، واكتساب طريقة أخرى للحياة ، وأن هذا يحتاج إلى جهد ومثابرة .. وليسأل كل واحد منكما نفسه ، متى ؟ وكيف ؟ يمكنه أن يطبق ما حواه الكتاب من أفكار وأساليب ، فهذه الطريقة في القراءة ستعينه أكثر على فهم واستيعاب تلك الأساليب .. كما أن مما يعينه على ذلك أن يجعل هدفه العلاقة التي كانت بين النبي و زوجاته .. فهذا الهدف العالي يحمله على قوة المحاولة .. وكما قيل بحق : كلما كان هدفك أعلى ازدادت قفزتك ..

وبعد ..

(١) هذا لا يمنع أنا أحياناً كنا نتعرض لفترات توتر ، ولكنها كانت فترات قليلة ، بتوفيق الله

فهذه لمسات في فن التعامل بين الزوجين ، وهي أشبه بخطوط عريضة تنقصها كثير من التفاصيل .. حاولت فيها التسديد والوصول إلى الصواب ، فالحمد لله إن سددت ، وإن لم أوفق للسداد ، فأسأله أن أكون قد أدركت المقاربة ^(١) وكل ما أرجوه أن أكون قد وفقت إلى رسم الطريق إلى الحياة الطيبة ، وماهية العقبات التي تعترضها ، وأن أكون قد زوّدت القارئ بشيء من الشجاعة لينظر إلى واقع حياته الزوجية ، فيحاول تغييرها إلى الأفضل عبر هذه الوسائل التي تنمو بها السعادة

ولا شك أنه لا يكفي كتاب واحد في مثل هذه المواضيع ، بل لا بد من كتب كثيرة حتى إذا قصّر كتاب في أمر ما ، عوض الآخر هذا النقص ، وسد العجز ، وهكذا ..
فليكن هذا الكتاب بداية متواضعة لمشروع كبير يُسهم فيه كل الحريصين على أمور الأسرة ، والمعنيين بشؤونها ، لتصبح أسرة سعيدة قوية متعاونة متراحمة متحابّة تعي دورها في المجتمع الإسلامي ، ورسالتها في حمل أمانة هذا الدين إلى كل الإنسانية ..

أخي القاري / أخي القارئة ..

إنه لمن دواعي سروري اختيارك هذا الكتاب ، وليكن منك على ذكر أن المعرفة لا تشكّل قوة إلا حينما نستخدمها في حياتنا بنجاح .. فليكن قبلك لهذا الكتاب ، قبول استجابة وعمل ، يحقق لك الله به الحياة الطيبة ، والسعادة الدائمة ، ويرزقك الله به السكينة والمودة والرحمة التي أرادها الله لعباده من الزواج .. فليس هناك حياة أسعد وأقرّ من حياة تُبنى على الإسلام ، وتضبط علاقاتها شريعة السماء .. هذه الشريعة التي هي الطريق إلى رضا الرب .. والوسيلة حتى يبقى الحب ..

د. محمد بدري

(١) في الحديث الذي رواه الإمام مسلم : " سدّدوا وقاربوا "